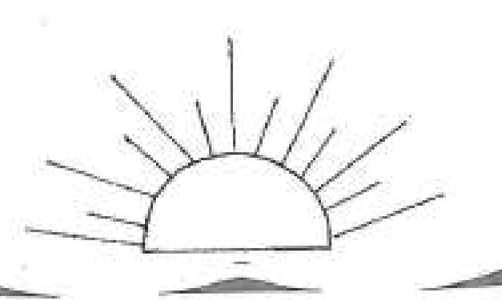
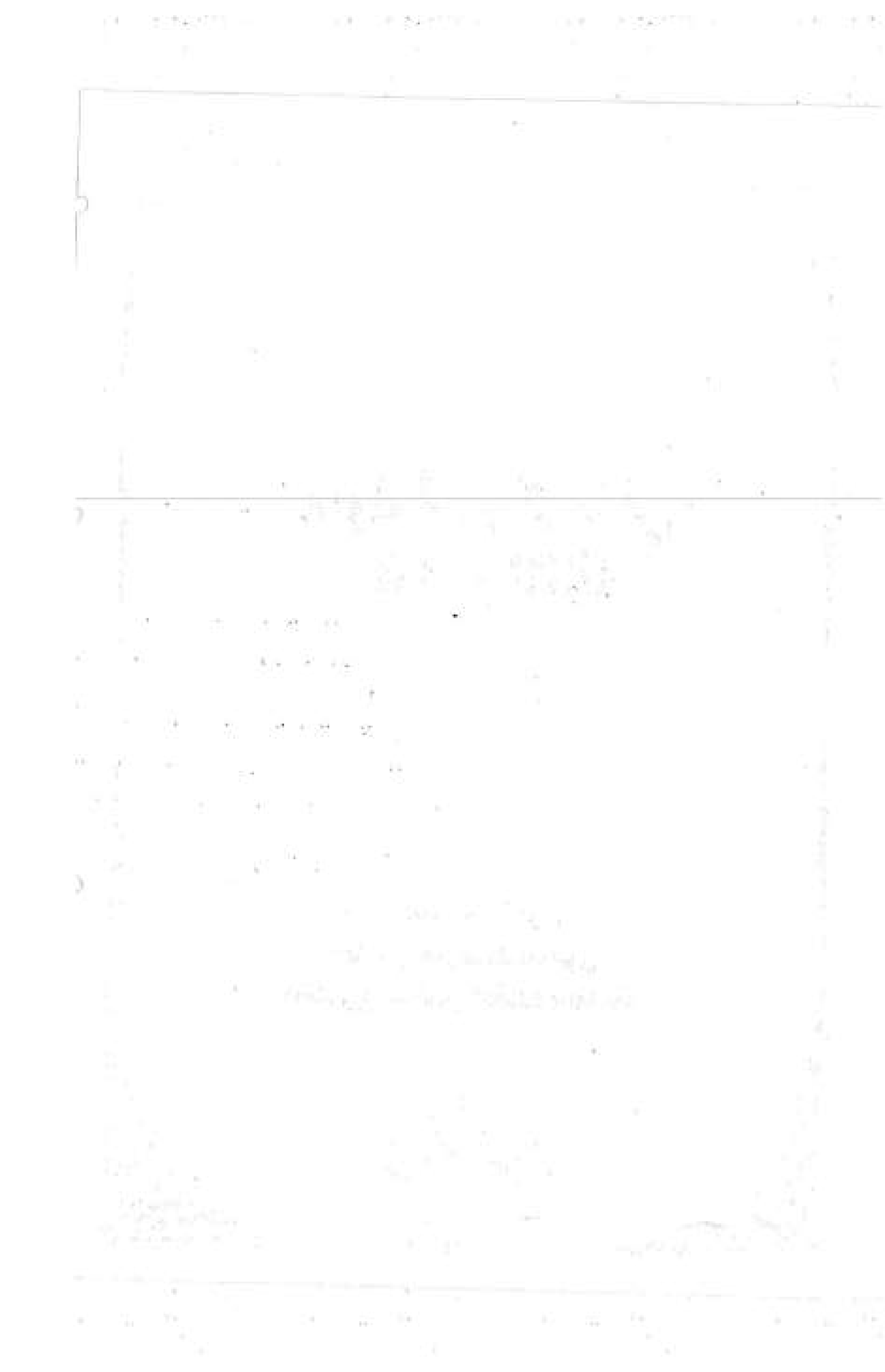


العولمة : وأثرها في الفكر والثقافة

الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن محمد المراكبي
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة





التنظير الغربي لاعتلاء العالم وسيادته :

شغلت " قضية العولمة " في جوانبها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية مساحة هائلة في المحاضرات والندوات والمنتديات ... وفي وسائل الإعلام : المرئية والمسموعة والمقروءة ، وما تزال تطرح نفسها كل يوم في الأروقة الثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها ..

وما تزال من أهم القضايا حضوراً واهتماماً على النطاق العالمي منذ أكثر من عقد من الزمان .

وهي عبارة عن نظام عالمي يهدف إلي إعادة تشكيل العالم اقتصادياً وسياسياً وأمنيا وحضارياً ... وقيام عالم واحد تتهاوى فيه الحواجز والفواصل ، وتلغى فيه الحدود والقيود .

هذا النظام العولمي الذي يراد له أن يسود العالم في السياسة والاقتصاد والثقافة ... هو النظام الليبرالي الغربي ، أو بمعنى أدق هو النظام الأمريكي الذي يراد به " أمركة العالم " لأنه في زعم المروجين له والمهرولين إليه أرقى ما وصلت إليه البشرية ، وأسمى ما يمكن أن يقدم لها .. ..

وإذا كان الأمر كذلك فهل يعني ذلك "نهاية التاريخ" كما هي نظرية "فرنسيس فوكوياما" (١) ؟

أو يعني ذلك : " الصدام بين الحضارات " كما هي نظرية " صمويل هنتنجتون " ؟ (٢)

---

١ - أستاذ أمريكي من أصل ياباني . صدر له كتاب "نهاية التاريخ" في صيف عام ١٩٨٩ م

٢ - أستاذ أمريكي من أصل يهودي ، وأستاذ السياسة في جامعة "هارفارد" ومدير معهد "جون أولين" عمل في مجال الدراسات الاستراتيجية في أمريكا .

أو يعني ذلك : " الحوار بين الحضارات " كما دعت إلي ذلك الجمعية العامة للأمم المتحدة ؟

لقد جاءت نظرية " فوكوياما " لتؤكد على الأمر الأول ، وتبين لنا أن انتصار الرأسمالية الليبرالية على الشيوعية يعني نهاية الصراع ، وسيادة النظام الأمريكي إلي الأبد . ومن ثم كانت " العولمة " التي تعني سيادة النظام الأمريكي وهيمنته على العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً .. الخ .

ثم جاءت نظرية " هنتنجتون " لتعلن " صدام الحضارات " وأن الصراع لم ينته بعد بسقوط المعسكر الشيوعي وتفكك الاتحاد السوفيتي ، وأن العدو القديم الجديد بعد سقوط الشيوعية هو الإسلام والكنفوشيوسية الصينية " وتنذر بوجود الخطر ووجوب مواجهته والدفاع عن النموذج الحضاري الغربي وعن المصالح التي يقوم عليها ، لاسيما ضد الإسلام الذي أخذ يزحف الآن نحو الغرب .

ولم يكن " هنتنجتون " في ذلك مبتدعاً لنظريته هذه التي سبقه إليها المؤرخ الشهير " أرنولدتوينبي " الذي أحصى حضارات العالم ، وانتهى إلي أن الحضارات القائمة بالفعل منها يمكن أن تندرج في الحضارة الغربية ما عدا الحضارة الإسلامية والصينية .

كما سبقه إليها المؤرخ الشهير " برناردلويس " الذي نشردراسته في التنظير للصراع بين الغرب والإسلام في مجلة " اتلانتيك منثلي " عام ١٩٩٠ تحت عنوان " جذور الهياج الإسلامي " ثم ضمنها فيما بعد كتابه " ثقافات في صراع " عام ١٩٩٥ م .

" وقد اعتمد " هنتختون " على دراسة سابقيه في مقالته عن صدام الحضارات التي نشرت في مجلة " فورين أفيرز " عام ١٩٩٣ ثم في كتابه " صدام الحضارات " الذي أثار ضجة في العالم فيما في عام ١٩٩٦ م .

ثم تبعه بعد ذلك كل من " دانيل بايبس " و " جوديث مللر " و " استفن أمرسون " وغيرهم (١)

وتتلخص مزاعمهم فيما يأتي :

أولاً : أن العلاقة بين الإسلام والسلطة الزمنية لا تدع مجالاً للديمقراطية في الإسلام ، لأن الدولة الإسلامية دولة " ثيوقراطية " يحكمها (الله) والحاكم في الإسلام يستمد سلطته وسلطانه من (الله) .

والقانون الذي تحتكم إليه الشعوب في الإسلام ليس مصدره الشعوب نفسها بل مصدره (الله) والحاكم وليس للشعب يد فيه .

وعلي ذلك يكون التحدي لسلطة الحاكم مماثلاً للتحدي لسلطة (الله) وهو نظام مخالف بل ومصادم للديمقراطية .

ثانياً : دعوة الإسلام إلي الحرب والجهاد ضد أعداء الإسلام ، وهي دعوة مناهضة للسلام العالمي الذي ينشده الناس ، فإله الإسلام إله دموي يسره منظر الدماء وإبادة الناس . وإذا كان الإله في النصرانية قد قتل وصلب من أجل البشرية ، فإله الإسلام يريد من الناس أن يَقتُلوا ويُقتَلوا من أجله .

وإذا كان موسى وعيسى يدعوان إلي الرحمة والسلام ، فإن محمداً جاء يدعو إلي الحرب والقتال ، ومن ثم نما التطرف والإرهاب في الإسلام .

ثالثاً : إن من يؤمن بحقوق الإنسان ، عموماً وحقوق المرأة خصوصاً ومن يؤمن بالغيرية والتعددية لا يشعر بالرضا إزاء وضع المرأة في الإسلام وحق الإنسان في الحرية والمساواة ، والاعتراف بالآخر وحقه في الاختلاف ، ولهذا كان " الخطر الأخضر " الإسلام في نظرهم ونظريتهم هو العدو الأول بعد "

---

١ - أنظر د / رضا هلال : أمريكا والإسلام . ومقاله عن الإسلام في الخطاب الأمريكي في جريد الأهرام بتاريخ ١٧ / ١ / ٢٠٠٣ م .

الخطر الأحمر " (الشيوعية) الذي ولي بسقوط الاتحاد السوفيتي العدو (اللدود للغرب) في الماضي ، بل الإسلام اليوم أعظم ضرراً وأشد خطراً منه لما مر ...

رابعا : الزعم بأن الإسلام هو الدين الصحيح دون غيره ، وأن المسلمين هم الذين يملكون الحقيقة دون سواهم ، وأن المسلمين وحدهم هم الذين سيفوزون بالجنة ، وأن من عداهم سيخلدون في النار ... ومن ثم كان تكبرهم وعصبيتهم وكراهيتهم لغير المسلمين .

وكل ما تقدم ينم عن جهل تام أو تجاهل لمبادئ الإسلام وقيمه في الشورى والعدل ، والمساواة ، والحرية والسلام ، وحقوق المرأة وحقوق الإنسان في الإسلام ، ومشروعية الجهاد ، والتعددية والاختلاف بين الناس : الاختلاف القائم على التعاون والتكامل لاعلى التعادي أو التخاصم ... وأن الحكم بالحق الإلهي الذي ذهب إليه الشيعة ليس مذهبا لجمهور المسلمين ، وأن الاحتكام إلي شريعة الله لا يلغي عمل العقل والاجتهاد في الإسلام .

وهذه جميعاً أمور مقررة ومفصلة في مواضعها من الفكر الإسلامي الذي جهله أو تجاهله المستشرقون لسبب أو لغيره ، وتبعهم عليه أذنابهم من المفتتنين على الإسلام ، الذين يريدون إذكاء العداء ، وافتعال الصراع والصدام بين الحضارات .

ولم تكن نظرية صراع او صدام الحضارات التي جاء بها كل من : برنارد لويس ، وصموبل هنتنجتون ، ودانيل بايبس ، وجوديث ميللر مناقضة لنظرية " فوكوياما " في نهاية التاريخ كما يظن البعض ، بل جاءت لتكمل أمريكا دورها في الهيمنة على العالم ، ومحاربة ما تبقى أمامها من جيوب المقاومة فيه ... وهذا هو ما عناه الرئيس الأمريكي الأسبق " ريتشارد نيكسون " عندما قال بعد ما تفكك الاتحاد السوفيتي : " إن الماركسية قد هزمت ، ولكن بقي على الليبرالية أن تنتصر " وهو بذلك يشير إلي الحضارة الإسلامية والصينية التي أفصح عنها هنتجتون

لقد أعلن " فوكوياما " نهاية التاريخ – كما تعلم – بعد الحرب الباردة – وسقوط النظام الشيوعي وتفكك الاتحاد السوفيتي العدو الأول للرأسمالية الغربية آنذاك . ولكن الولايات المتحدة استشعرت أن القول بنهاية التاريخ سيفقدها القيادة والهيمنة على دول الاتحاد الأوربي الحليف الأول لها ، وخروجه من قبضتها ، لأن القول بأن النصر قد تحقق بصورة نهائية للنظام الليبرالي يعني أنه لن يكون هناك في المستقبل خصوم لهذا العالم ، ومن ثم فليس ثمة ما يدعو إلي هيمنتها وقيادتها ... ولهذا خرجت بأطروحة جديدة هي : " صراع الحضارات " ليبقي ولاء أوربا لها في مواجهة الخطر الإسلامي والصيني الجديد ، بحجة أن الخطر لا يحدق بأمريكا وحدها ، بل بالغرب الصليبي كله ومن ثم يجب التكتل لمحاربة الإسلام !!

ولما كانت هذه النظرية من شأنها أن تثير حفيظه العالم الإسلامي ضد الغرب ، وللغرب مصالحه في هذا العالم ، فقد جاءت الدعوة الثالثة إلي " حوار الحضارات " هذه الدعوة التي تبنتها هذه المرة الجمعية العامة للأمم المتحدة لتقلل من وقع الدعوة الثانية على العالم الإسلامي ، ومن ثم رحب بها كثير من المفكرين المسلمين ، لأن الإسلام دين السلام ، ودين الحوار (١)

ضرورة الحوار :

ونحن نرحب بها كذلك – لو صدقت النيات – ونراها ضرورة عصرية ، وضرورة دينية لذلك ، نظراً للوضع المتردي الذي يعيشه عالم اليوم مع كثير من المحن والفتن ، وكثير من الصراعات والحروب التي تدمر العالم ، وتودي بأرواح الأبرياء ، وتستهدف مقدرات الأمم والشعوب ، وتستنفد طاقاتها وتستنزف مواردها ... مما ساعد على تفاقم أسباب التخلف والفقر والجهل والأمية والمرض من جانب وعلى التطرف والعنف والإرهاب في كثير من مناطق العالم

---

١ – راجع الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري / المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية / مصر ١٩٩٦ م .

الذي يشعر بالظلم والقهر والاستبداد من جانب آخر .. وليس هناك من خلاص إلا بتعاون الأمم من أجل استتباب الأمن والسلام العالمي الذي يصون دماء البشرية ويحرس مسيرة التنمية ... واستلهام قيم الرسالات السماوية ومبادئها التي جاءت أساساً لحماية البشرية من الأخطار التي تحدق بها ، والتي تتهدد حاضرها ومستقبلها ..

- ولكن : هل يمكن للغرب أن يكون صادقاً مع هذه الدعوة ؟

وهل يمكن أن يكون الحوار مجدياً في ظل وإرادة الهيمنة ؟

وهل يمكن أن يقوم الحوار في جانب ، وإرساليات التبشير والتنصير تقوم بعملها ضد الإسلام في جانب آخر ؟

وهل تتفق الدعوة إلي الحوار مع التخطيط لاختراق ثقافة الغير من جانب آخر ؟

أم أن المراد من الحوار شيء آخر ؟

أري وأود أن أكون مخطئاً – أن المراد من الدعوة إلي الحوار ما يأتي :

أولاً : احتواء العرب والمسلمين وإلهاؤهم بما يسمي بالحوار الحضاري ، والحوار الديني ، وثقافة السلام وغيرها .

ثانياً : تحييد النخبة المفكرة من المسلمين باسم الدعوة إلي التحضر والتنوير والسلام وغيرها .

ثالثاً : تنقية ما لا يتفق في الإسلام مع الحضارة الغربية المادية بحيث تسود حضارة " العولمة " وفكرها .

رابعاً : إزالة كل ما يشير إلي التنقيص لغير المسلمين من اليهود والمسيحيين في القرآن أو السنة أو فتاوي علماء الأمة بحجة أن ذلك مما يسيئ إلي الآخرين ، ويتنافي مع سماحة المتحاورين .

وهذا هو ما نرجحه لما يأتي :

أولاً : ما يثار اليوم بين الأطراف المتحاورة في مؤتمرات الحوار الحضاري الديني من موضوعات الحوار .

ثانياً : ما تركز عليه المؤتمرات العالمية كمؤتمر السكان في القاهرة عام ١٩٩٤ م ومؤتمر المرأة في بكين عام ١٩٩٥ م وغيرهما من دعواة إلي إلغاء عقوبة الإعدام ، وإباحية المرأة ، وإباحة الشذوذ الجنسي ومشروعية الزواج المدني وإلغاء الحدود الإسلامية ... إلي آخر هذا المسلسل الذي يراد به إفراغ الإسلام من محتواه ، ليسود فكر العولمة ، وينتصر بالتالي النموذج الحضاري الغربي على الإسلام ، كما انتصر على الفكر الشيوعي من قبل .

ثالثاً : ما يحمله المشروع الأمريكي لتطوير الخطاب الديني الإسلامي من أفكار في ضوء المبادرة التي أعلنها مؤخراً وزير الخارجية الأمريكية " كولن باول " والتي أطلق عليها اسم " مشروع الشراكة من أجل الديمقراطية والتنمية " وهي أفكار يراد بها التهوين من شأن الدين وإبعاده عن مجالات الحركة الفاعلية والحياة (١)

---

١ - ويركز المشروع الأمريكي على ما يأتي :

١ - عدم الاهتمام بالجانب الديني في الحياة الاجتماعية لأن ذلك مما يغذي الإرهاب ويؤدي إلي انتشاره في العالم الإسلامي .

٢ - إشغال الشباب الهارب إلي الدين لسبب أو لغيره بالتكنولوجيا الحديثة ووسائل التنمية لإبعاده عن الاشتغال بالدين .

٣ – إقامة دورات تدريبية للأئمة والدعاة في كل من مصر والولايات المتحدة الأمريكية من أجل تطوير الخطاب الديني .

٤ – تنقية الخطاب الديني على يد كبار رجال الدين (المعتدلين) من المفردات والنصوص التي تغذي الإرهاب كالجهاد ، والعداء لليهود وغيرها أو تأويلها وحمل معناها على جهاد النفس أو العداء لليهود السابقين دون غيرهم ... وهكذا .

٥ – إلزام الخطباء والدعاة بالتركيز على الشعائر الدينية فقط ، وعدم تسييس خطب الجمعة ، والبعد عن إثارة الكراهية والعداء لغير المسلمين من اليهود وغيرهم ووضع المسؤولية عن الدعوة تحت رقابة أجهزة الدولة لضمان قيامهم بالتوجيه الديني المناسب للقضاء على العنف والتطرف والإرهاب .

٦ – وضع خطة إعلامية تعمل على إزالة الحقد والبغضاء بين المحمديين وغيرهم من اليهود والمسيحيين .

٧ – تطبيق المحمدين لبعض شرائع المسيحيين واليهود في بعض الأحكام والعبادات لتقريب نقاط الالتقاء بين الأديان الثلاثة لا سيما وأن الإسلام يعترف بعيسى وأنبياء بني إسرائيل .

٨ – تحويل المساجد إلى مؤسسات اجتماعية لا يقتصر دورها على الجوانب الدينية فحسب بحيث تتحول من بؤر تنمي التطرف والإرهاب إلى مؤسسات ديمقراطية تمارس فيها جميع الأنشطة السياسية والاجتماعية والترفيهية يشارك فيها الرجال والنساء على حد سواء ولا مانع من أن تتولى المرأة فيها خطبة الجمعة حيث لا يوجد في الإسلام ما يمنع المرأة من ذلك .

٩ – يجب مراجعة المناهج الدراسية في المؤسسات التربوية لا سيما في المعاهد والجامعات الدينية المعنية بتخريج الدعاة كالأزهر الذي يجب تطوير مناهجه وتحديد دوره في الداخل والخارج .

١٠ – يتم تحويل هذا المشروع على نفقة الولايات المتحدة ، وربطه بالمساعدات الأمريكية لمصر والدول الإسلامية . ا

أنظر جريدة الأسبوع العدد ٣٠٦ – ١٠ ذو القعدة ١٤٢٣ هـ الموافق ١٣ يناير ٢٠٠٣ م .

رابعاً : يدل لما تقدم أيضاً : انسحاب الولايات المتحدة من المنظمة الدولية للأمم المتحدة (اليونسكو) لتمهد بذلك لتيار جديد يحمل فكر " العولمة " وثقافتها . وهذا ما يؤكد لنا أن النظرة الأمريكية للثقافة لا تستند إلي حماية تراث الإنسانية – لأنه لا إسهام لها فيه – بمقدار ما تستند إلي سيادة فكرها وثقافتها وعولمتها .

وعلى ذلك نستطيع أن نقول : إن مجموع الأفكار والأنظار التي طرحت وتطرح في الغرب كل يوم والتي تؤكد على نهاية التاريخ ، أو صراع الحضارات ، أو حوار الحضارات ، أو حوار الأديان ، أو ثقافة السلام .. الخ كلها من معين واحد ، وجميعها يهدف إلي : احتواء المسلمين من جانب وتحييد المفكرين المسلمين من جانب آخر ، وإفراغ الإسلام من محتواه من جانب ثالث ، وأخيراً الإيحاء إلي المسلمين بأن موقفهم في مواجهة فكر العولمة لن يغير من الواقع شيئاً ... وهذا هو ما صرحت به رئيسة الوزراء البريطانية السابقة " ما رجريت تاتشر " لرئيس الوزراء الماليزي " مهاتير محمد " في موقفة من العولمة

وكل ذلك إنما يكشف لنا من جانب آخر : عن حقيقة الموقف الذي تشكل بداخل الوعي الغربي المعاصر ، لاسيما أصحاب القرارات الاستراتيجية بعد تنامي الصحوة الإسلامية وتطور وتنوع الخطاب الإسلامي ، بل وحضور هذا الخطاب وتلك الصحوة بداخل المجتمع الغربي ذاته

فوجود أكثر من اثنين وعشرين مليوناً من المسلمين داخل الولايات المتحدة وأوربا إلي جانب هذه الصحوة الإسلامية المتنامية في العالم الإسلامي والغربي على حد سواء قد أفزع الغرب فكانت هذه الغارة على العالم الإسلامي ، بل على الإسلام نفسه ، كانت هذه الهجمة الثقافية الغربية التي تستخدم فيها أعتي وسائل الاتصال ، وتكنولوجيا المعلومات.

العولمة الثقافية (١) ومدي تأثيرها في الفكر والثقافة الإسلامية :

تعني العولمة الثقافية:تصدير المعلومات والثقافات والأفكار والأيديولوجيات الغربية عبر وسائل الاتصالات ، وشبكة المعلومات ، والفضائيات ... وغيرها إلي كافة دول العالم دون قيود أو حدود ؛ بل مع تجاوز الحدود والقيود واختراق الثقافات والخصوصيات بحث ينصهر الجميع في بوتقة العولمة وثقافتها .

والحقيقة : أنه في ظل التقنيات الحديثة ، والسماوات المفتوحة ، وفي ظل شبكة المعلومات والاتصالات لم يعد وضع الحواجز أو القيود أمام هذا التدفق الثقافي الإمبريالي ممكناً .

ولم يعد الانغلاق والانطواء والانسحاب دون هذا السيل الجارف كذلك مجدياً .

بل أصبح نقل وتدفق المعلومات والأفكار والصور يتم بسرعة الضوء وعلى مدار الساعة متجاوزاً حدود الزمن والمكان ، ومخترقاً للثقافات والخصوصيات .

وعن طريق وسائل العولمة السابقة يصدر إلينا الغرب مذاهبه الفكرية الهدامة ، وعقائده الملحدة ونفاياته الثقافية الماجنة لإضعاف علاقة المسلمين بربهم ودينهم وكتابهم وإقصاء الإسلام عن ساحة التوجيه والفعل والحركة ، والقضاء من ثم على الهوية الإسلامية والخصوصية الثقافية ويتسني له بذلك استعمار العقول والقضاء على ذاكرة الأمة بتراثها وثقافتها وتاريخها ..

---

١ – ونعني بالثقافة : هذه المنظومه التى تضم في إطارها مجموعة الأفكار والآداب والفنون والعلوم والمعارف والعقائد والقيم والأخلاق والقوانين والعادات والتقاليد وأنماط السلوك المختلفة التى تسود الأمة فمحصلة ذلك كله هو ما يطلق عليه إسم الثقافة ، وهو يمثل الجانب المعنوي من حياة الأمة ، كما تمثل المدنية الجانب المادي منها . ومجموع ذلك كله هو ما يطلق عليه اسم : الحضارة .

نعم : إننا لا نتعرض وجدنا لهذا الغزو الفكري والثقافي ، بل هناك غزو ثقافي يطوف أرجاء العالم بسبب انفجار ثورتي المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات التي تملأ الفضاء اليوم بمئات الأقمار الاصطناعية ... ولكننا أول المعنيين به ، وأول المتضررين منه .

وقد مرر الغرب خطته لهذا الغزو الفكري والاختراق الثقافي الذي رأي أنه الخيار الأفضل للقضاء ، على هذه الصحوة الإسلامية من خلال قنوات ثلاث هي :

١ – **الإعلام** : فهناك المراكز الإعلامية المتعددة التي تتلقى عن الغرب معظم موادها الإعلامية وتنشر ثقافة الغرب وفكر العولمة ، بعد أن أصبح معظم الإعلام تجارة لا ثقافة .

وحسبنا " أن نشير إلي أن نحو ٧٠ % من المواد المعروضة تليفزيونياً فقط في هذه المنطقة من العالم هي مواد اوربية وأمريكية وهندية .. وأن نسبة الـ ٣٠ % الباقية هي مواد محلية وعربية ... وأن نحو ٨٠ % من نسبة الـ ٣٠ % هي مواد مصرية تعتمد على الأفلام والمسلسلات ... وأن نسبة ٨٠ % من نسبة الـ ٧٠ % المستوردة من أوربا وأمريكا تقوم على ثلاثي : الجنس – والجريمة – والرياضة (١)

"وتشير إحصاءات منظمة اليونسكو" عن الوطن العربي إلي أن شبكات التليفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث كما في سوريا ومصر ، ونصف هذا الإجمالي كما في تونس والجزائر ، أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية المستوردة تزيد على النصف،إذا تبلغ ٥٨,٥% وتبلغ البرامج الثقافية

---

١ – صلاح الدين حافظ / الهوية الثقافية / مجلة القاهرة / يوليو ١٩٩٢ م / ٤٨ .

منها٦٩% وغالب هذه البرامج يبث من غير ترجمة ، كما تبث ثلثا برامج الأطفال بلغات أجنبية من غير ترجمة أيضا (١)

وهذا هو ما تستورده هذه البلاد فضلا عما يبث مباشرة عبر القنوات الفضائية .

٢ – **التعليم** : وذلك باحتواء المناهج التعليمية وعلمنه التعليم ، وتحقير الفكر الديني ومحاصرته بدعوى الأصولية والسلفية والتخلف ، والدعوة إلي تطوير الخطاب الديني .. الخ حتى يتم القضاء على التربية العقدية والأخلاقية التي تعصم النشأ من درن الأفكار الوافدة والثقافة الغازية .. حتي أصبح الواقع التربوي اليوم يتميز بالتناقض في مضامينه ، والاضطراب في أهدافه ، والاغتراب في مناهجه .

٣ – **التثقيف** : وذلك بتلويث الموارد التثقيفية ، وتصدير النفايات الثقافية أو بتعبير وزير الثقافة الفرنسي " جاك لانج " : " الزبالة الأمريكية المسمومة القادمة عبر الأطلنطي " (٢) – وبصناعة المفكرين المستغربين ممن بهرهم فكر الغرب وثقافته ، وقد ساعد على ذلك ما يأتي

أ – الغياب شبه التام للوسائل الإعلامية المحلية عن تقديم المواد الثقافية الجادة ، والبرامج الترفيهية الهادفة لإشباع عقل المسلم وعاطفته ثقافياً وفكرياً وترفيهياً .

ب – ما تنتجه وتعرضه .... بعض القنوات الفضائية المحلية من إنتاج محلي مقلد لا يختلف عن مثيله من الإنتاج الغربي إن لم يفقه اسفافاً وانحطاطاً في كثير من الأحيان .

---

١ – أسامة الخولي / العرب والعولمة / ٣٣٥ بيروت ١٩٩٨ م .

٢ – الفكر الإسلامي / ٢١٤ / جامعة الإمارات العربية ، إعداد نخبة من أساتذة الفكر الإسلامي بالجامعة .

ج – الغياب الكبير أو الإهمال وعدم الاهتمام بالتربية الدينية والأخلاقية التي تعصم المسلم من درن الثقافة الغازية . ومثيلها من الإنتاج المحلي الهابط وغير الهادف .

د – إعصار التيارات الفكرية المضللة التي يثيرها بعض المبهورين أو المخدوعين أو المأجورين ممن يحاولون أن يعصفوا بثوابتنا وتراثنا وثقافتنا لحساب ثقافة الغرب وفكر العولمة بذريعة التطوير والتنوير والحداثة وما بعد الحداثة ... إلي آخر هذه المفردات البراقة ... والكثير مما يكتبه هؤلاء الذين يعيشون على موائد الثقافة الغربية لا شك له أبلغ الأثر على هويتنا وثقافتنا وهو ما يدخل ضمن مؤثرات العولمة ونحن لا ننسي مثلا الأثر السيئ الذي تركته رواية " آيات شيطانية " لسلمان رشدي ، وما تركته رواية " أعشاب البحر " لحيدر حيدر ، وما كتبته تسليمه نسرين ، وما يكتبه أمثال هؤلاء في العالم العربي والإسلامي مما يحمل فكر الغرب وثقافة العولمة .

ونحن لا نريد أن نقف منغلقين على ذواتنا ضد كل وافد ، ولكن يجب أن يكون لنا فكر واع وعقل ناقد بحيث نأخذ ما ينفعنا وندع ما يضرنا وهو ما يدخل في معني التبادل الثقافي الذي نشجعه ونحرض عليه :

التحديات الثقافية :

نغمط الغرب حقهم إذا تحدثنا فقط عن سلبيات العولمة وتحدياتها دون أن نشير إلي إيجابياتها فلكل نظام إيجابياته وسلبياته ، ولكننا يجب أن نوازن بين الإيجابيات والسلبيات من جانب ، وأن نعني بإبراز سلبياتها أكثر من جانب آخر حتى نستطيع أن نتوقي آثارها ونتجنب سلبياتها ..

ولا شك أن للعولمة إيجابياتها في إقامة نظم ديمقراطية حاكمة ، وقيام إعلام حر وتقارب بين الثقافات (وإن صح هذا التعبير) وتكامل في مجال

الأبحاث العلمية ، واختصار للوقت والجهد في سبيل الحصول على العلم والمعرفة .

ولكنها من جانب آخر - ورغم إمكان مناقشة هذه الايجابيات المتقدمة - فإنها تفرض علينا اموراً جد خطيرة لأنها تتعلق بوجودنا وهويتنا ، وتتعلق بفكرنا وثقافتنا ، وتتعلق بديننا وقيمنا الأخلاقية والسلوكية وانتماءاتنا العربية والإسلامية . وتتعلق باللغة العربية التي هي وعاء الثقافة العربية الإسلامية لتشويهها وتعجيمها والقضاء عليها . وتتعلق بالإعلام الذي يمثل عقل الأمة وفكرها .

إن لكل أمة ثقافتها التي يمكن أن تتفق أو تختلف مع غيرها ، ولها خصوصيتها التي تحدد هويتها وتميزها عن غيرها ، ولكن " العولمة " تريد أن تقضي على هذه الخصوصيات ، وأن تصهر جميع الثقافات في بوتقة واحدة هي الثقافة الغربية ، أو بمعني أدق الثقافة الأمريكية التي تعتبرها النموذج المثالي الذي يجب أن يسود العالم ... وهي بهذا تحدث انقلابا هائلاً في مفاهيم الثقافة والمؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية بل والعلاقات الاجتماعية وغيرها .

ومن التحديات التي تتعلق بالقيم والدين والفكر الإسلامي ما يأتي :

١ - **هدم البناء العقدي والروحي** الذي جاء به الإسلام والذي يمثل هويتنا ويشكل جوهر فكرنا وثقافتنا ، لأن ثقافة الغرب كما نعلم ثقافة مادية لا يعنيها إفقار الروح في سبيل رفاهية البدن والاعتداء من ثم على العقائد والقيم والأخلاق ... إن الغرب الصليبي لم تحكمه يوماً ما شريعة الله وإنما حكمته الكنيسة أو رجال الكنيسة باسم الحق الإلهي المقدس وباسم هذا الحق ما رست الكنيسة سلطانها وطغيانها على العلم والعلماء ، فكانت العلمانية التي كفرت بالكنيسة ودينها وجاءت كرد فعل لما عاناه العلماء والمفكرون من ظلم واضطهاد على أيدي رجال الكنيسة ومحاكم التفتيش التي ذهب ضحيتها أكثر من أربعين ألف عالم في نحو ثلاثة قرون .

جاء المسيح بدعوته إلي الرحمة والتواضع والسلام إن ما يحكم الغرب اليوم هو هذا الثالوث المقدس والمطبق تطبيقاً أمنياً :

[المنفعة – والقوة – والجنس]

١ – القوة : إن من أهم خصائص الحضارة الغربية لا سيما الأمريكية اليوم هو انسلاخها عن المبدأ الأخلاقي . الذي يشهد له ما تفعله اليوم من تسلط على الأمم المتحدة وتحكم في أجهزتها ، وتمرير لكل ما تريده من خلال هذه الأجهزة مهما كان مخالفا لمبادئ الحق والعدل ، ومن تدخلها في شئون العالم وتنصيب نفسها شرطياً لهذا العالم .. " لقد احتفلت الأمم المتحدة عام ١٩٩٥ م بمرور ٥٠ عاماً على تأسيها وفي عام ١٩٩٨ م بمرور ٥٠ عاماً على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفي نفس هذا العام في ٢٦ ديسمبر عام ١٩٩٨ م أعلن وزير خارجية بلجيكا أن الأمم المتحدة قد ماتت ، وذلك تعليقاً على ضرب الولايات المتحدة وبريطانيا للعراق ، دون قرار من الأمم المتحدة ، وضرب الحلفاء والأمم المتحدة لصربيا ، وضرب الولايات المتحدة لليبيا ولمصنع الأدوية في السودان وأفغانستان بحجة القضاء على الإرهاب ، وهو ما يمثل الذراع الطويلة للولايات المتحدة وأوربا ، وهل تدخل أمريكا في شئون دول العالم كل يوم سواء بالضرب أو المقاطعة أو حجب المعونة أو غيرها يتم بقرارات من الأمم المتحدة ؟ وهل يتفق مع شرعية الأمم المتحدة ومبادئها ؟ وهل يتفق مع مبدأ حقوق الإنسان في الحرية الذي أعلنته الأمم المتحدة ؟ إنها القوة قطعاً .

٢ – المنفعة : إن الولايات المتحدة ماضية في إنشاء شبكة الصواريخ الدفاعية المكملة لحرب النجوم التي أعلنها بوش الأب من قبل والتي ينفذها بوش الابن اليوم رغم معارضه روسيا وفرنسا وألمانيا وغيرها لأن في ذلك مصلحة أمريكا ولو على حساب أمن الآخرين ، إن الولايات المتحدة ماضية في تلويث البيئة وعدم تقليل نسبة الزرنيخ في المياه أو عدم زيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو الذي من شأنه التأثير على طبقة الأوزون وارتفاع حرارة الأرض

(الاحتباس الحراري) ولتضرب أمريكا عرض الحائط بمعاهدة (كيوتو) عام ١٩٩٧ م المتعلقة بخفض انبعاثات غازات الاحتباس الحراري وليعارض من شاء لأن ذلك ليس في مصلحة أمريكا التي تنفث مصانعها $\frac{١}{٤}$ الملوثات البيئية في العالم ، ورفضها المصادقة على معاهدة حظر استعمال الألغام الأرضية رغم خطورتها على البشرية لأن هذا ليس في صالحها .

٣ – الجنس : أما القيمة الثالثة (الجنس) فحدث ولا حرج – ويكفينا ما نلقاه كل يوم من أفلام الجنس والعنف ، ويكفي أن نقول : إن هناك الآن على شبكة الإنترنت أكثر من ٢ مليون موقع إباحي يتعلق بالجنس والمناظر الإباحية الفاضحة ، التي تعد الشباب اليوم لمصير سيئ ومنقلب وخيم ، وهناك الإنتاج المعولم للأفلام الإباحية والعنف الذي يفوق دخله ما تنتجه مصانع السيارات والطائرات اليوم .

٢ – تهديد الأمن والسلام العالمي :

يعتبر مشروع " العولمة " أحد المشاريع المهددة للأمن والسلام العالمي بل أخطرها جميعاً لما يأتي :

أولاً : انتهاك العقائد الدينية وامتهانها والتي تعتبر أعز وأغلى ما يعتز به الإنسان العقائدي لأنها تباشر عقله وقلبه ووجدانه .. وإذا كانت أوربا والغرب اليوم لا يعنيها أمر العقيدة والدين وإن انتسبت إليه اسماً وشكلاً لأنها لا تدين إلا للمنفعة – فهناك الكثير ممن لا يقبلون مساساً بدينهم وعقائدهم .

ثانيا : هدم البناء الروحي والقيم الإنسانية التي تمثل إنسانية الإنسان وكرامته كقيم الحق والعدل والمساواة والحرية والكرامة الإنسانية وغيرها ، وهناك الكثير في العالم ممن يرفضون منطق القوة والهيمنة ويأبون المساس بكرامتهم .

وما يزال الغرب منذ عصر النهضة الأوربية وحتى اليوم يحكمه فكر العلمنة الغربية الملحد ، والذي يتمثل في :

١ - أن الحياة مادة . ٢ - وأن المادة مكتفية بنفسها .

٣ - وأن الحياة غاية في ذاتها ليس وراءها حياة أخرى ، وليس وراءها إله يدبر أمرها ويدير شئونها ، بل تحكمها السنن الكونية والقوانين الطبيعية .

هذا الفكر المادي هو ما نجده عند أوجست كونت الذي دعا إلي دين الإنسانية ، وفردريك نيتشه الذي أعلن موت الإله ودعا إلي عبادة السوبرمان ، وسيجموند فرويد الذي أراد أن يجعل من الجنس عقيدة للناس ... وهو ما نجده أيضا عند جان بول سارتر ، وسيمون دي بوفوار ، وما نجده عند فولتير ، وهوبز ، وهيوم ، ومل ، وبورت ، وديوي وغيرهم ... وما نجده عند العلماء من أمثال داروين ، وبخنر ، وهكل ، ونيوتن ، ولابلاس ، وجيمس ، استيفن الذي يقول : " إن الحياة قد استوفى العلم وصفها فليست هناك مادة باقية للدين إذ ما هي فائدته بعد ذلك ؟ وما هي الحاجة إليه ما دمنا نسلك سبيلنا بغيره ؟ !! إن العلم وإن كان لا يعطينا ما نعبده ، فهو كفيل بأن يعطينا ما نستمتع به .. إن الحياة لا تخسر شيئاً إذا ما نحينا الدين والعقيدة جانبا .. وسوف يموت الدين مع اللاهوت ولكننا قادرون على أن نعيش عيشه طيبة بغيره " (١)

هذا الفكر المادى الملحد هو الذي يشكل الفكر الغربي حتى اليوم رغم انتمائه الشكلي إلي المسيحية وهو الذي يحاول تصديره إلينا عن طريق العلمنه تارة ، وعن طريق العولمة تارة أخري ليغزو به ثقافتنا ويقضي به على أخص خصائصنا وهو العقيدة والدين .

---

١ - العقاد : عقائد المفكرين في القرن العشرين / ٢٥ ، ٢٦ . ووحيد الدين خان / الإسلام يتحدى / ٣٤ .

٢ – تهديد القيم والأخلاق :

مما لا شك فيه أن جوهر الحضارة الإسلامية هو القيم والأخلاق المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة والدين بل التي تشكل عنصراً أساساً في الدين الإسلامي .

هذه القيم والأخلاق التي يراها الفكر الغربي نسبية ومتطورة حيث لا توجد حقيقة ثابتة في الحياة بل كل شئ نسبي ومتطور وأن ما يجب أن يحكمنا اليوم هو المنفعة والمصلحة كما تقول البراجماتية ، وأن الغاية تبرر الوسيلة مهما كانت غير مشروعة كما تقول الميكيافيللية ، وأن البقاء لأقوي كما تقول الداروينية ، وأن ما يقال عن قيم وأخلاق إنسانية كالعدل والرحمة والمساواة والإحسان وغيرها كما يقول نيتشه إنما هي أخلاق الضعفاء التي أرادوا أن يستذلوا بها الأقوياء والطبيعة كلها محكومة بالقوة . فالسمك الكبير يعيش على السمك الصغير في البحار والفيلة القوية تقتل الفيل المريض في الغاب ، ونحن جزء من الطبيعة ليس لنا أن نخرج على قوانينها ..

وإن كان ثم قيمة أخري غير المنفعة والمصلحة والقوة فلتكن " الجنس " الذي يفسر به سيجموند فرويد طابع الحياة البشرية كلها ، فالأخلاق والضمير منشؤة عند " فرويد " هو عقدة (اليكترا) !!

والدين والعقيدة منشؤه عقده (أوديب) . وأن كليهما : الدين والأخلاق يؤدي إلي العقد والكوابت النفسية ، وأن الدين الذي يدعو إلي وضع ضوابط لطاقة الجنس هو أمر سخيف لا يستحق الاحترام ، وأن القيم التي تدعو إلي العفة والفضيلة والتسامي تتسم بطابع القسوة والشذوذ ... !! وإن من واجبه كما يقول لتلميذه (أدلر) أن يجعل من الجنس عقيدة للناس (١)!!

هذه قيم الغرب التي يحتكم إليها الآن والتي يطبقها بالفعل ، لا التى يعلنها ولا يطبقها ذراً للرماد في أعين الأخرين . وهي ليست قيم المسيحية قطعاً وقد

---

١ - محمد قطب / مذهب فكرية معاصرة / ١١٢ دار الشروق ١٩٨٣ م .

ثالثاً : إلغاء التعددية الثقافية التي تشكل موروث البشرية كلها ، ولا يمكن لذوي الثقافات العريقة أن يفرطوا في موروثهم الثقافي والحضاري لأنه يمثل الثروة الحقيقية للإنسان منذ أن فكر الإنسان

إن مشروع : العولمة " الذي يتعارض مع الحقائق المطلقة فيلغها أو يمتهنها ، ومع المثل العليا فيجعلها نسبيه أو متطورة ، ويستبدلها بالمنفعة والمصلحة والقوة والجنس ، ويلغي التعددية الثقافية ويخترق الخصوصيات ، وينتهك سيادة الأمم والشعوب بإرسال هذه الأعاصير المدمرة عبر وسائل الاتصال وشبكة المعلومات لتدمير قيم هذه الشعوب وأديانها وثقافتها وتدخل إليها في أخص أماكنها مما لم يكن ممكناً تحقيقه من قبل حتى دخول الجيوش الغازية كل ذلك لا يمكن إلا أن يثير حفيظة هذه الأمم والشعوب يوماً ما حين تستيقظ علي النتائج المفزعة بل المفجعة والمروعة لهذه العولمة .

" إن غياب الحرب اليوم – كما يقول الدكتور / حسين غباش – لا يعني السلام ، لأن السلام ليس البديل الوحيد للحرب ، ففي غياب الحرب تبقى أسبابه الكامنة للانفجار : تبقي الصراعات السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية كقنبلة موقوتة حتى يحين انفجارها " (١)

وأخيراً أقول : إن حضارة الغرب التي يحاول تمريرها وفرضها في ظل العولمة تحمل في تضاعيفها عوامل تدميرها لمخالفتها لطبيعة الإنسان وفطرته ، وقيمه العليا ومبادئه السامية التي تمثل إنسانية الإنسان وكرامته ، والإنسان ليس إنساناً بمادته ، بل هو روح بأعظم جزئية ، والحضارة التى تعني بالجانب المادي على حساب الجانب الروحي دون العناية بتحقيق التوازن بينهما هي حضارة متهافتة متهاوية وهذا هو ما يتنبأ به كثير من أساتذة الحضارة اليوم . فلتبلغ الحضارة المادية أوجها ولتأخذ الأرض زخرفها فسنة أتيه ﴿ حَتَّىٰ إِذَا

---

١ – حسين غباش / ثقافة السلام وثقافة الحق / جريدة الخليج الإماراتية / ٢٨ / ٣ / ٢٠٠١ م .

أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ (١)

٤ – البعد العنصري للعولمة :

بموجب نظرية التفوق العرقي التي أثارها " داروين وغالتون " فإن تقدم الأقوى لابد وأن يتم على حساب الأضعف ومن أجل مسيرة الإنسانية نحو التقدم والارتقاء والأصلح والأفضل فلابد وأن تسود الأفكار والثقافات التي يمتلكها الجنس الأقوى ولو على حساب ثقافة الأجناس والأعراق المختلفة وهي نتيجة طبيعة لمقتضيات التطور البشري ، لأن البقاء فيها للأصلح والأقوى دائماً .

" إن الثقافة الغربية بإلغائها للثقافات الأخرى ومحاولاتها فرض نفسها عبر العولمة على المجتمعات الأخرى تنطلق من قاعدة الإيمان بان التفوق العنصري هو الوجه الآخر للتفوق الحضاري ، وبالتالي فإن للعنصر المتفوق أن يقف على أكتاف العناصر الأخرى من أجل الارتقاء .. إن من سنن الطبيعة أن تدفع العناصر المتخلفة ثمن عدم قدرتها على مواكبة التقدم الإنساني " (٢) فتفرض عليها ثقافة الجنس الأقوى والأصلح .

٤ – استعمار العقول :

في كل يوم يطلع علينا الغرب بإبداعته ونظرياته التي يفجؤنا بها ويقتحم بها فراغ نفوسنا وعقولنا ، وتمتاز ثقافة العولمة بأنها ثقافة الصورة ، هذه الصورة التي تقتحم الآن وعى الشباب وتجري في امتداد الفراغ والتراجع لمعدلات القراءة في عالم اليوم الذي انحسر إلي أبعد مدي مما سيترتب عليه انعدام الاطلاع والقراءة وارتياد المكتبة ، ومن ثم يحتل التليفزيون والفيديو والسينما وغيرها في تكوين ثقافة الشعوب وتشكيل رؤاها ومعتقداتها مساحة هائلة

---

١ – سورة يونس الآية رقم (٢٤) .

٢ – محمد السماك / البعد العنصري للعولمة / جريدة الاتحاد الإماراتي ٣ / ٢ / ١٩٩٨ م

وتعتبر صناعة الأفلام والمسلسلات أعظم صناعة تصديرية تدر ربحاً أعظم من تصدير السيارات والطائرات ويعتبر تأثير الإنتاج المعولم الذي ينفق عليه اليوم مليارات الدولارات أقوي تأثيراً من أي ثقافة أخرى وهي تجارة رابحة لدي الشركات المنتجة وإن كان ذلك على حساب الثقافات الجادة أو على حساب الخصوصيات الثقافية الأخرى ، إن الوقت الذي يقضية الإنسان أمام هذا النوع من الإنتاج الترفيهي لا يدع الفرصة للاطلاع أو القراءة ويجعل المرء مجرد متلق فقط ويفقده عقله وفكره ، وتحل عاطفته محل عقله وفكره ووعيه .

٥ – ضياع اللغة :

تمثل اللغة الإنجليزية اليوم عبر وسائل العولمة كالإنترنت وغيره ٨٠% على حين لا يجيد هذه اللغة في العالم غير ١ % من عدد سكان المعمورة ومع ذلك يتم معظم التعاملات بها . والمعروف أن اللغة تعتبر من اهم مقومات الهوية فكيف يمكن أن تصمد الثقافات الوطنية إذا فقدت أبرز مقوماتها ؟ !

وإذا كانت اللغة هي أحد مقومات الثقافة فإن التكنولوجيا أصبحت مقوماً آخر للثقافة وبمقدار استخدامها لذلك تستطيع أن تصمد أو تستمر في عصر العولمة لكن هذه التكنولوجيا ليست ميسرة لكل الشعوب والمجتمعات بل لبعضها دون الآخر .

ولهذا كانت حملة الرئيس الفرنسي " جاك شيراك " على استخدام العولمة للغة الإنجليزية وإهمال غيرها من اللغات الأخرى ، لهذا دعا الرئيس الفرنسي إلي إقامة تحالف بين الدول التي تعتمد لغات من أصل لا تيني للتصدي لهيمنة اللغة الإنجليزية وذلك لدي افتتاحه لمنتدي بجامعة السربون والذي جمع بين الناطقين بالفرنسية والأسبانية والبرتغالية ... ودعا " شيراك " الناطقين بالإيطالية من الاتحاد اللاتيني إلي الانضمام في هذه الحملة إلي منظمة الفرنكفونية ومجموعة الدول الناطقة بالبرتغالية والمنظمات الأخرى لمقاومة الهيمنة للغة

الإنجليزية ، ودعا إلي القيام بتحرك في الأمم المتحدة بالاتفاق مع المنظمات الخمس لإقامة مشاريع مشتركة . ودافع عن مبدأ تعددية اللغات في المجتمع الدولي ... وأعرب أخيراً عن أمله في أن تعترف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) رسمياً بحق التعددية الثقافية من خلال إصدار إعلان عالمي يكون بمثابة ميثاق تأسيسي " (١)

عالمية الإسلام وعولمة الغرب :

يزعم بعض المناصرين للعولمة والداعين إليها بأن الإسلام هو أول من دعا إلي العولمة ؛ لأنه دين عالمي أراد عولمة العالم وحاول فرض حضارته عليه يوما ما .

وهو زعم باطل لما يأتي :

أولاً : لأن عالمية الإسلام قد بدأت الدعوة إليها منذ العهد المكي وما زال المسلمون في ضعف وخوف ولم يكن للمسلمين يومئذ دولة ولا حضارة . يقول الحق سبحانه في سورة سبأ وهي من السور المكية : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (٢) ويقول جل ذكره في أول سورة الفرقان وهي من السور المكية كذلك : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ (٣) .

ثانياً : لم تفرض عالمية الإسلام نفسها على العالم بالقوة آنذاك كما تفعل عولمة الغرب اليوم ، بل احترم الإسلام خصوصيات الآخرين : في عقائدهم وعباداتهم وثقافتهم وحضارتهم .

---

١ – جريدة الخليج / ٢٠ / ٣ / ٢٠٠١ م .

٢ – سورة سبأ الآية رقم : (٢٨) .

٣ – سورة الفرقان الآية رقم : (١) .

ثالثاً : أقر الإسلام التنوع والاختلاف ، وجعل التعددية والاختلاف حقاً من حقوق الناس ؛ بل هي سنة من سنن الله تعالي في كونه وخلقه كما ذكر القرآن : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (١) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (٢) . أما الواحدية والأحدية فلله تعالي وحده دون غيره .

رابعاً : جاء الإسلام بقيم العدالة والمساواة والرحمة والتعاون والتكافل وغيرها من القيم الإنسانية التى تحقق إنسانية الإنسان وكرامته مما لا تعرفة عولمة الغرب القائمة على الاستغلال والقهر والظلم واستنزاف ثروات الآخرين وهضم حقوقهم في الإنسانية والكرامة .

خامساً : تقف الدعوة الإسلامية عند حد التبليغ دون إرغام أو إكره ، فلا إكراه في الدين كما قال ربنا عز وجل : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٣) ﴿ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٤) ويقول الحق سبحانه : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ ﴾ (٥) ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (٦) .

سادساً : ترجع عالمية الإسلام إلي الوحي الإلهي المعصوم عن الاختلاف أو التناقض ، والقائم على العدل المطلق ، والتجرد التام ، والتحرر من ربقة

---

١ - سورة الحجرات الآية رقم (١٣) .
٢ - سورة هود الآيتين رقم (١١٨ ، ١١٩) .
٣ - سورة البقرة الآية رقم : _ ٢٥٦) .
٤ - سورة الكهف من الآية رقم : (٢٩) .
٥ - سورة الشورى الآية رقم : (٤٨) .
٦ - سورة ق الآية رقم : (٤٥) .

العبودية إلا لله تعالي وحده بخلاف العولمة : المحكومة بالمنافع والمصالح والأهواء .

سابعاً : للوحي الإلهي دائماً قدسيته وسلطانه على عقول الناس وقلوبهم ، وهو السر في انتشار حضارة الإسلام وعالميتها مما لا يتوفر مثله للفكر البشري وعولمة الغرب .

أما الدليل التطبيقي أو العملى على ما ندعيه فيتمثل فيما يأتي :

أولاً : أن الدولة الإسلامية قد ضمت في أكنافها كثيراً من الأديان . وكثيراً من المذاهب الفكرية والدينية وكثيراً من الأجناس البشرية وعاش الجميع في ظل سماحة الدين والدولة وفي ظل عدالة الإسلام ورعاية المسلمين محتفظين بألقابهم وانتماءاهم وخصوصياتهم .

ثانياً : حينما فتح الله على المسلمين بلاد فارس والشام ومصر واليمن وغيرها لم يجبر أحد من أهل هذه البلاد على الدخول في الإسلام ، بل احترم المسلمون ثقافتهم وأديانهم ومقدساتهم جميعاً .

ثالثاً : انفتح المسلمون على ثقافات غيرهم يدرسونها وينقبون في بطونها .. ويترجمون ما كتب بلغات لا يعرفونها ، واستجادوا لها مهرة المترجمين وأغدقوا عليهم الأموال في سبيل الحصول على معارف الآخرين وعلومهم كما فعلوا بالنسبة لفلسفة اليونان ومنطقهم وعلومهم في الطب والرياضيات والفلك وغيرها للانتفاع بالصالح والمفيد منها مع المحافظة على التميز والخصوصيات والإبقاء على ثقافة الغير دون مساس بها .

أما العولمة : فتعني الهيمنة وصب المجتمعات في قالب واحد وتهميش ثقافة الغير وحضارته ، بل والعمل على امحائها وتذويبها – وهي تمثل في الحقيقة

مرحلة الاجتياح في علاقة الشمال بالجنوب بل وبالأحري في علاقة أمريكا بغيرها من العالم ، والدليل على ذلك هو موقف الرئيس الفرنسي " جاك شيراك " ووزير الثقافة الفرنسي أيضاً " جاك لانج " في موقفهما من اللغة والثقافة الأمريكية ، فالعولمة الأمريكية تريد احتواء العالم ونفي الآخر أو تهميشه ، ويكمن خطرها فيما تحاول إيصاله إلي الآخرين من عناصر ثقافية ومعلوماتية تريد بها لختراق ثقافة الآخرين والقضاء على خصوصياتهم أو إلغائها .

الغزو الفكري :

ربما يزعم بعض المخدوعين أو المبهورين بثقافة الغرب : أنه لا يوجد ما يسمي بالغزو الثقافي ، وأن الغزو لا يعرف إلا في الجانب الحربي ، أما في الجانب الثقافي فهناك " تبادل ثقافي فقط ، وأن الثقافة الأقوي دائماً هي التي تسود ويتهاوي غيرها ، وهذه هي طبيعة الأشياء وسنة الحياة .

كما أن القول بوجود عملاء للغرب يعملون على نقل ثقافة الغرب وغزو البلاد بها ، قول سخيف لا يحمل غير العداء للغرب ، ولا يتم إلا عن ضعف وعدم حيلة أمام الثقافة الغربية المتنامية . وما علينا إذا أردنا أن ننهض وأن نتقدم إلا أن نحذو حذو الغرب حتى نستطيع أن نلحق بالركاب، أما الانغلاق والانطواء والانسحاب فهو الموت والانسحاق تحت أقدام ثقافة الغرب وحضارته (١)

---

١ - راجع مقال عاطف العراقي – الأهرام ١٢ / ١ / ٢٠٠٣ م يقول العراقي : لابد من التنبيه إلي الانغلاق الفكري الذي نجده عند أناس يتحدثون عما يسمونه بالغزو الفكري فهل من المعقول أن نتحدث عن ظاهرة خيالية هي ظاهرة الغزو الفكري .. أعتقد أننا إذا قلنا الغزو الفكري أو الثقافي فإننا سنقضي تماماً على أي أمل في التقدم . وهو في هذا ليس بدعاً بل هو برعم صغير في فرع العلمنة ومشايعي العولمة .

وأقول : إن البون شاسع وبعيد بين ما يسمى " بالتبادل الثقافي " وما يسمى " بالغزو الثقافي " ونحن نرحب بالأول ونشجع عليه ، وقد دعا إليه الإسلام وحث عليه ، فالحكمة ضالة المؤمن فليأخذها أني وجدها ، والرحلة في طلب العلم ، وطلب العلم ولو بالصين ، وما كان عليه أسلافنا من انفتاح على ثقافات الفرس والمصريين واليونانيين وغيرهم أمر معلوم مشهور . وهو ما يدخل في باب التبادل الثقافي الذي يدخل إلينا بإرادتنا ، وبانتقائية منا بحيث تأخذ ما ينفع وندع ما يضر علي أساس من العقل الناقد والبصير .

أما ما يدخل إلينا دون إرادة منا عبر وسائل العولمة التي لا يمكن الوقوف في وجهها أو التصدي لها كما مر .. وما يعمل على إلغاء عقولنا وتغيب وعينا والضرب على عواطفنا فهو الغزو الذي نحذر منه ...

وأما يقال : عن بعض المفكرين المعلمنين والمعولمين فهو أمر غير منكور ، ولنستمع إلي ما يقوله الفيلسوف الفرنسي " جان بول سارتر " في مقدمة صدر بها كتاب المفكر الإفريقي " فرانس فانون " : (المعذبون في الأرض) مشيراً إلي كيفيه صناعة المفكرين المشرقيين في الغرب ، وكيف كان الغربيون يستقطبون بعضا منهم ويعدونهم لغزو بلادهم غزواً فكرياً وثقافياً .

يقول سارتر : " كنا نحضر أبناء رؤساء القبائل ، وأبناء الأشراف والسادة من إفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ، ولندن ، وباريس .. فتتغير ملابسهم ، ويلتقطون بعض أنماط السلوك ، والعلاقات الاجتماعية الجديدة ، ويرتدون السترات والسراويل ، ويتعلمون لغاتنا ، وأساليب رقصنا ، وركوب عرباتنا ، وكنا نزوج بعضهم من أوربا ، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية على أساس جديد ، وطرز جديدة .. وكنا نضع في أعماق قلوبهم أوربا ، والرغبة في تحويل بلادهم إلي أوربا .. ثم نرسلهم إلي بلادهم التي كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا ، ولم نكن نجد منفذاً إليها ، لأننا كنا بالنسبة إليها نجسا ورجساً ، ولكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلي بلادهم كنا نسمع انعكاساً

صادقاً وأمينا لأصواتنا من الحلوق التي صنعناها ، حيث كانوا يرددون ما نقوله بالحرف الواحد ، تماماً مثل الثقب الذي يتدفق منه الماء في الحوض ، هذه أصواتنا تخرج من أفواههم ، وحينما كنا نصمت كانت ثقوب الأحواض هذه تصمت أيضاً .. كنا نصيح من أمستردام ، أو برلين ، أو باريس : الاخاء البشري " فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي إفريقيا . أو الشرق الأوسط ، أو شمال إفريقيا ..

كنا نقول : " ليحل المذهب الإنساني ، أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة " وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم . وكنا واثقين أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم ، ليس هذا فحسب ، بل إنهم أخذوا حق الكلام من مواطنيهم " !!

لا أريد التعليق على ما جاء في هذا النص من فيلسوف يعرف معني ما يقول ويعترف بما يكون ولا أريد التنبيه إلي تطبيق هذه المقولة في واقع حياتنا فهو أمر مشهور غير منكور ... ولكن أريد أن أقول فقط كان هذا في أيام " سارتر " قبل ثورة المعلومات والاتصالات الهائلة التي يشهدها عالم اليوم .

ويبقي علينا أن نعرف الآن : كم تطورت وسائل الاتصالات ، وأجهزة الإعلام ، ومراكز المعلومات بعد سارتر حيث لم تعد الحاجة الآن قائمة إلي استقدام أمثال هؤلاء إلي لندن وباريس وامستردام وغيرها لأن لسماوات المفتوحة ، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة أصبحت تقتحم على الناس بيوتهم وتدخل عليهم في أخص أماكنهم ، وتعمل على تشكيل عقولهم ، وصياغة أفكارهم ، بل وتغيير أنماط سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم والتحكم في أذواقهم ، والضرب على عواطفهم ومشاعرهم وترغمهم على الاستمرار في مقاعد التلقي ، وتجعلهم أسري ما يلقي إليهم .. وتعمل في فراغ وعيهم وعقولهم . وبالتالي تحقق أضعاف ما كان يطمح إليه سارتر ويريد تحقيقه دون عناء أو جهد أو مشقه .

موقفنا من العولمة :

إذا كان للعولمة هذه التحديات الخطيرة فما هو موقفنا منها :

هل نبارك هذا الوافد الجديد ونرحب به ونهرول إليه قبل أن تنسحق تحت أقدامه ؟

أو ننسحب من الميدان دون هزيمة وننغلق على أنفسنا حتى تواتينا الفرصة فننطلق ؟

أو نواجه هذا التحدي بما يتوفر لدينا من إمكانات العولمة التي تتيح لنا كما تتيح لغيرنا الاستفادة منها والتفاعل معها وتوظيفها لصالح ثقافتنا وحضارتنا ؟

إن الاستسلام للعولمة كما يريد البعض يتبعه أخطار تمس وجودنا وهويتنا الإسلامية ، وتهدد ثقافتنا كما رأينا .

والانغلاق والانسحاب من الميدان لا يجدينا نفعاً بعد أن تحطمت الأسوار وتهاوت الحصون .. فلم يبق أمامنا غير المواجهة وقبول التحدي .

وقد يقول الانهزاميون : إن الكفة غير متوازنة :

أولاً : لبعد المسافة بين الغرب المتقدم تكنولوجياً وتقنياً ، وبين الشرق المتخلف . فالأول منتج لها والثاني مستهلك لها وفرق ما بين الأمرين كبير . .

الثاني : عدم إمكان اللحاق بالغرب في إمكاناته الضخمة ، أو مواكبة هذا التقدم الهائل في مجالات الاتصال وتكنولوجيا المعلومات وغيرها حتى نستطيع إثبات هويتنا الثقافية والحفاظ على استقلالنا الفكري والثقافي

ولكن ماذا يفعل صاحب البيت إذا داهم بيته لص في ليل ؟ أيتركه له ؟ أو يقاوم دونه ؟ إن المواجهة أصبحت أمراً حتمياً وضرورياً لا مفر منه ، والانفتاح

دون وعي وتحفظ ودون رعاية للأصول والجذور هلاك وذوبان في بوتقة العولمة .. والانغلاق والرفض لدرجة القطعية يأس وإحباط وكلاهما مرفوض .

المواجهة :

أما كيف نواجه العولمة الثقافية ؟ :

١ – فأقول : إننا عندما نكون مهددين بوباء ماذا نفعل ؟

إما أن نعمل على منع دخوله إلي البلاد ، وإما أن نتحصن ضده وإذا كان منع الوباء غير ممكن فإن الواجب الذي يتحتم علينا هو أن نحص أنفسنا وأبناءنا منه .

وهذا هو أول واجب علينا تجاه وباء العولمة أن نحصن أنفسنا وأن نحص أبناءنا وبناتنا من درن هذه الثقافة العابرة إلينا من الغرب والتي تعمل على تغييب وعينا وعقولنا والضرب على عواطفنا ومشاعرنا ، وذلك بالتركيز والعناية بالتربية الدينية والأخلاقية في المدارس والجامعات والندوات والمنتديات ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فضلاً عن دور المساجد ودور العبادة .

وبالعناية بالتربية العقلية الاستقلالية التي لا تقوم على الاستظهار والحفظ والتلقي فقط بل على العقل المفكر والناقد وبذلك تكون رصيداً دينياً وفكرياً يقي أبناءنا وبناتنا شر هذه النفايات الوافدة .

٢ – توظيف العولمة في خدمة الثقافة :

من المعلوم بالضرورة اليوم أن وسائل الاتصال الحديثة ، وتكنولوجيا المعلومات الهائلة أصبحت تتيح لنا فرصة تاريخية لو أحسنا استغلالها والاستفادة منها في إحياء الثقافة العربية والإسلامية وتجديد هويتها وبعث نهضتها ، ونستطيع من خلالها أن نقدم للأمة ثقافة علمية نقدية إبداعية بدلاً من الثقافة المقلدة لثقافة الغرب شكلاً ومضموناً كما نري ونشاهد في كثير من برامجنا

الإعلامية المحلية ، ثم هناك الكثير من الفرص المتاحة عبر وسائل الاتصالات وشبكة المعلومات يمكن استغلالها في توصيل دعوتنا وثقافتنا إلي جميع دول العالم ؛ لأن هذه الوسائل تتيح لنا كما تتيح لغيرنا الاستفادة منها والتفاعل معها وتوظيفها لصالح أمتنا وثقافتنا مع الحفاظ على الهوية والخصوصية والتميز كما نريد ..

وقد بدأت بالفعل بعض المراكز الثقافية والدينية في العالم العربي والإسلامي الاستفادة بهذه الوسائل وتوظيفها في خدمة الثقافة والدين ، واصبح لبعض هذه المراكز مواقع هامة على شبكة الإنترنت ، وبرامج هامة في الفضائيات العربية والإسلامية ، تبث الكثير من البرامج الدينية والثقافية الهادفة والرائعة ... وهي بدايات موفقة ومبشرة وواعدة ... إلا أننا في حاجة إلي مضاعفة الجهود وتجميع القوي والإمكانات وتشجيعها واستغلالها بأكبر قدر ممكن .. مع العمل على إبعاد شبح الهزيمة النفسية واليأس القانط والقاتل ، وفقدان الثقة في النفس والذات .

٣ – القيام بمشروع ثقافي إسلامي يمثل معظم الاتجاهات الدينية والثقافية تحدد فيه رؤيتنا تجاه مختلف القضايا المعاصرة ، ومعالجتها بأسلوب يتفق ومنطق العصر .

وتوضيح الحكم الشرعي في مختلف القضايا التي يحتاج المسلمون إلي معرفة حكم الدين بخصوصها وذلك بعد دراستها دراسة متأنية في مختلف المجامع الفقهية والمؤسسات الدينية والثقافية ، وإنشاء المزيد من المراكز البحثية الدينية والعلمية والثقافية ... وعقد الندوات والمؤتمرات التي تعالج أهم الموضوعات الآنية والمستقبلية .

٤ – تجديد الفكر الديني والخطاب الثقافي بما يتناسب ومستجدات العصر ومتغيرات الحياة في ظل أهداف الإسلام ومقاصده ، فلكي نكون ثقافيا ثقافة

مقبولة ومؤثرة لابد وأن تواكب التقدم الذي يشهده عصرنا ، ولا بد وأن يتطور الخطاب الثقافي بما يتلاءم وروح العصر إذ لكل عصر خصوصيته وله ظروفه، فيجب أن تقدم حلول مشكلاتنا بمستوي الفهم والإدراك الذي يتناسب مع أجيالنا الحاضرة ، وأن يتناسب خطابنا مع المستوي العلمي والفكري الذي حققته البشرية مع المحافظة على جوهر الثقافة الإسلامية دون انسحاق تحت وطأة الثقافة الوافدة أو تقليد أعمي لها .

كذلك يجب أن يقوم بعرض الفكر والثقافة الإسلامية أناس يحسنون عرض هذه الأفكار بصورة لائقة وبأسلوب رائق وشائق حتى يلقى آذانا صاغية وقلوباً واعية عملاً بقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١)

٥ – إعادة النظر في هذه المنظومة الثلاثية التي تشكل عقل الأمة وفكرها وهي : الإعلام ، والتعليم ، والتثقيف ، وذلك بهدف تجديدها ، وتحديد أهدافها ، وتحديث وسائلها .

إن واجبنا أن نعترف بأن مناهجنا التعليمية ما تزال رغم محاولات التحديث والتطوير في حاجة إلي تطوير ، وأن برامجنا الإعلامية والثقافية في حاجة إلي تحديث وتجديد ، وأنها لا تقدم للمواطن القدر الكافي من التحليلات والمعلومات .. وغني عن البيان أن كل ما نرجوه لا يمكن أن يتحقق إلا في جو من الحرية والديمقراطية بعيداً عن السلطات والقوى التي من شأنها أن تكمم الأفواه وتصادر الحريات (٢) .

---

١ – سورة النحل الآية رقم (١٢٥) .

٢ – راجع أحمد يوسف – مجلة الكلمة اللبنانية – مستقبل ثقافتنا في ظل المتغيرات العالمية الجديدة – ١٤٥ العدد ٢١ / ١٩٩٨ م .

وأخيراً أقول : ونحن نخوض اليوم أعتى معارك التحدي وأقسى محاولات التذويب والتهميش يجب علينا أن لا تهن عزائمنا وأن نستلهم روح الإيمان ، ونسترجع هذا الصمود العظيم والمواجهة الرائعة لشتى أنواع التحدي على مدي التاريخ الإسلامي ، حتى نستعيد ذواتنا المفقودة ، ونرفض الهزائم النفسية ، ونتعالى عن منطق اليأس والإحباط والهروب .

بل من واجبنا كما يقول العلامة الندوي (١) ، وقد نيطت بنا قيادة العالم ، وخيرية الأمم – ونحن نملك دستور القيادة وأهلية هذه الخيرية ، إذا أعددنا أنفسنا لذلك – أن نعمل جاهدين على تحقيق هذا الهدف ، وإنقاذ العالم من الساعة الرهيبة التي ترقبه إذ استمرت قيادته في هذه الأيدي الخرقاء التي تحكمه اليوم وأن حقا على المسلمين أن يشدوا لذلك عزائمهم، وأن يمنوا أنفسهم بهذا المنصب الخطير حتى يتحقق فينا قول الحق سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٢)

١ – راجع أبا الحسن الندوي – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ٢٧٠ .

٢ – سورة آل عمران الآية رقم (١١٠) .